



كلنا يعرف بتجربة العلمانية الأوروبية وأن أكبر عامل فيها هو انحراف الكنيسة الكاثوليكية عن معانى الدين الصحيح حتى كرهت الشعوب الأوروبية الدين وثارت عليه فنادت بشعار (اقتلو آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) وكانت نتيجة تلك الثورة ان عزل الدين عن الحياة في جميع انحاء أوروبا. تلك التجربة المريرة يعيد أحداثها ملالي الدين الشيعي في ايران بقيادة الولي الفقيه.

حين آل الأمر إلى رجال الخميني، ارتكبوا من الأفعال المخالفة للإسلام، ما هو أسوأ بكثير مما فعلته الكنيسة، فالخمينية ضربت على قواعد الثقافة الدينية الخاصة للشعوب في جغرافية إيران وزلزلت أركانها، وانشبت أظافر التخريب فيها، حتى اتجهت الشعوب إلى كل ما هو يخالف الإسلام وحلت الثقافة المستوردة بدلاً من الثقافة الإسلامية، ونفذت في أغلب مرافق حياتها وشؤونها.

ومن الأمور الواضحة أنَّ الحوزات في قم وطهران. ولدت وهي مفصولة عن الدين، بمعنى أنهم أرسوا قواعد البناء المجتمعي على نحوٍ ينتهي بولادة مؤسسة بعيدة عن الدين، حيث لم يكن الهدف الأول لرجال النظام في الحوزات الدينية، هو بناء مجتمع سالم إسلامي، بمعنى آخر، إن إعداد المجتمع كان يتم بما يؤدي إلى ترسیخ حالة العبودية والتبعية؛ فالشخص المرموق في معيارهم، هو الذي يتفوق على غيره بالعبودية والاستسلام.

وقد بدأت هذه الأمور حينما أرادت الحوزة ان تحكم بالشعوب في إيران عن طريق الجهل، بابتعادها عن الإسلام الحقيقي، ففعلوا كلَّ ما بمقدورهم أن يفعلوه.

من هذا الموقع انطلق الغزو الثقافي ضدَّ الإسلام والشعوب في جغرافية إيران، واكتسب أشكالاً مختلفة. وقد اتخذ الغزو أبعاداً خطيرة في السنوات الأخيرة، وبدأت تتلاشى الرؤية والفكر الإسلامي لدى الشعب الفارسي. لكن الأكثريَّة في صفوف الشعوب غير الفارسية لازالوا يعيشون حياتهم في إطار المناعة، واحتفظوا بإرادة التحدُّي، فآمنوا بالإسلام ديناً.

ومن أكبر الفجائع التي أرتكبها النظام بحقِّ الإسلام، إنه يتسامُّ في العقيدة والإيمان، ويُشجع على الخرافية وعبادة الأضرحة

ما حمل الشعوب في هذه الجغرافية على أن تنسى جزءاً من ديانتها وتنسلخ عن ذاكرتها بمرور الزمان.

لأخذ على سبيل المثال نظرية "قبض الشريعة" كما يذكرها المفكر عبدالكريم سروش في كتابه "فربه تراز ايدئولوجي" كمثال، تراهم يستخفون بالشريعة ويدأبوا على تضييقها بطريقة معينة ، واقحموا فيها البدع والسنن حيث يبدو للمرء أن لا ضير إن أهمل الدين أو الواجبات الدينية أو تركها إلى وقت آخر أصلا.

كما أرسى رجالات النظام قواعد بناء المؤسسة الحوزوية الدينية في قم وطهران على نبذ العقيدة منذ البداية رغم رفع الشعارات الإسلامية، بحيث كانت مجاميع الشباب التي تذهب لأجل الدراسة في العهد الأول، هدفاً للدعائية التي يمارسها الحوزات ضدّ الإسلام. وهكذا ولدت الجامعة، وهي مشروع غير ديني، بل مناهض للدين. ثم تابعوا هذا النهج غير الديني والمناهض للدين سنوات، بقوة ودقة. وبذلك لم يضعف الدين في الحوزات الدينية وحسب، بل تحولت إلى مراكز لمناهضة الدين.

فالجيل الذي رُعي في عهد النظام الخميني، هو جيل يفتقر إلى العقيدة الإسلامية والإيمان في الغالب. ولكن المسار تغير بعد ذلك لدى الشعوب غير الفارسية في إيران، إذ تعرّف عدد كبير إلى دين الإسلام والمسائل الدينية بفضل الفضائيات والإعلام، ثم استيقظت العواطف وتفتحت في القلوب، وانبثق فكر جديد في هذه المجتمعات وأضحت مؤثرة في ذلك الوسط. وأضحى الإسلام اليوم هو في حال اتساع وامتداد في المجتمعات البشرية غير الفارسية في إيران، سيما في المجتمعات التي تعاني من ظلم النظام الفارسي.

(العلمانية في جغرافية إيران):

في النظر إلى مجال العلوم الاجتماعية في المجتمعات في جغرافية إيران بدأت تظهر العلمنة بتراجع الجاذبية الاجتماعية للدين، وذلك في إطار "ابتعاد الشعوب" عن الدين بشكل عفوياً وبطيء مالاينتج عنوعي ، بل كره للنظام الديني الحاكم للحوزات في إيران. حيث أصبحت العلمانية مساراً لفئات واسعة من المتعلمين ، تفقد بمقتضاه المؤسسات والرموز الدينية نفوذها على قطاعات من المجتمع.

وخلص هذه الانتمامات في إيران إلى عدة اتجاهات من أهمها :

أ : تطور أنماط التمثل الجماعي باتجاه الاستقلالية عن النظام الديني الحوزوي. مثال ذلك تنامي الشعور بالانتفاء الوطني أو القومي أو حتى اللغوي للشعوب غير الفارسية والذي يؤشر إلى تحول من نظام قاعدته المجموعة الدينية (مثل الجمهورية الإسلامية) إلى نظام قاعدته المجموعة الاجتماعية.

ب : تكون فضاء معرفي مستقل عن التصورات الدينية. وغالباً ما تتبنى الجامعات هذا الخطاب ويعتبر الطلاب فيها ممن أصحاب هذا الانتفاء.

ج : استقلالية الوعي والتصرفات الفردية عن الفهم الديني. لعب الإعلام والفضائيات دوراً بارزاً في هذا المجال في داخل العوائل - ايجابياً كان أو سلبياً - وترك أثر واسعاً في تصرفات الأفراد.

إذن العلمانية في إيران ظاهرة موجودة لا يمكن إنكارها وهي وليدة إعلام الغربي ، وانجداب الثقافة الفارسية لها أو من جهة أخرى جاءت بسبب الضعفينة التي يحملها الفرس للعرب والمسلمين. كما العلمانية أيضاً حصيلة النظام الشيعي المتطرف في الحوزات وأشجار الناس من آثارها كالكذب والخدع والفقر. وعلى رغم ذلك إلا إن العلمانية لم تشكل

حضوراً كثيفاً بين الشعوب في إيران، إلا أنها موجودة ولها مؤيدوها.

ولبيان العوامل التي أسهمت في انخراط الفرس في تيار العلمنة ، واستعصاء الإسلام على ذلك يمكن ملاحظة ما يلي:

أولاً : صورة الرب ومكانة الأئمة الشيعية: إنها في الفكر الشيعي الذي تبنته الحوزات صورة تساعده على العلمنة فالله مجرد خالق للعالم ، لا علاقة له بإدارته وإنما تسير الأمور بيد أئمة الشيعة (الفرس)

ثانياً : المقاصد الدينية الأخلاقية للحوзвات الشيعية القائم على الخداع والجهل دون نظر لأي اعتبارات دينية. إن هذا القانون السائد في دولة ديانتها الجهل المطلق، أسهم في إخضاع مفكريها المستقلين والمتعلمين وطلاب الجامعات للتيار العلماني.

ثالثاً : عقيدة "الشفاعة" التي تعتبر من أهم عقائد الشيعة والثقافة المجتمعية جعلت الاتكاء على غير الله ممكناً في الفكر الحوزوي، حيث بدأت تتراءى في الأفق الأفكار العلمانية وأنتجت مجتمعات لا دينية عند الشيعة.

رابعاً : الثنائية الحادة والمتناقضة في الواقع الحوزوي وشيوخها. يعني ذلك، الانفصام الشديد بين أخلاق الزهد والضعف والاستكانة التي تكرسها الحوزات، وبين الواقع الذي يعيشه الرهبان الشيعة من بذخ وفساد وترف.

وفي وسط هذه الصورة القاتمة يمكن أن ينجح الخطاب العلماني حين يظهر على أنه الخطاب البديل المتماسك الرزين المتألف فيكسب الأنصار والجماهير اليائسة من الوسط الشعبي، والناقمة على تلك الحال العدائية المتردية بين رموز التيار الدينية.

وخلقت هذه العوامل، ثلاثة غير متدينة من الشعوب في إيران. ودخلت المجتمع في صراع بين التيارات الثلاثة، الأول التيار الديني الحوزوي الذي يمثل النظام ثانياً التيار السنوي الذي يشكل أكثر من عشرين مليوناً من الشعوب غير الفارسية، ثم التيار العلماني المقبول لدى المعارضة الفارسية والبعض من المتعلمين وطلاب الجامعات.

وفي هذا الإطار، يمكننا ببساطة ملاحظة أنه لا يمكن الحديث عن تيار علماني بحد ذاته، فهذا التيار يتوزع بين تيارات المعارضة للنظام في الخارج وجيل الشباب من أبناء ما بعد الثورة وطلاب الجامعات خاصة، كما ثمة أطراف من العلمانيين تقف مع النظام والاستبداد على طول الخط. والحقيقة التي يجري حجبها أو توريتها بتبرير مفاده أن سجل التيارات العلمانية في إيران ليس ناصع البياض، وهو بدوره لا يقل أيديولوجية وطوباوية عن نظرة التيارات الدينية في الحوزات.

هكذا، فإن الخلاف أو التخندق الأيديولوجي بين التيارات الدينية التابعة للنظام والعلمانية التي تشكل غالبيتها الفرس (أشباب المعارضة)، يحجب حقيقة أن كل واحد منها يتضمن داخله طيفاً من المواقف المعاندة للإسلام و عقائد مخالفة للثقافة الإسلامية.

(الدين خيار شعبي):

واقع الأمر أن العلمانية زالت من السلطة، لكن ازدادت نمواً في اطياف الشعب وانتقلت المعادلة من علمنة الدولة إلى علمنة الشعوب و ترجع هذه النقلة إلى الهياكل التقليدية للحوзвات الباطلة في قم و طهران.

ولمعرفة إذ ما كان الدين منهجاً شاملًا للحياة يمثل خياراً شعبياً في جغرافية إيران في الوقت الراهن أم لا؟. حقيقة الأمر لن تستطيع تحديد موقف الجماهير من الإسلام قبل أن نقدم إجابة شافية على هذا السؤال، فلا يصلح معها الإثبات أو النفي بإطلاق، فهناك اعتبارات متعددة تعطي نتائج متفاوتة حول مستوى التفاعل الشعبي في جغرافية إيران مع الإسلام، ومن هذه

الاعتبارات:

أ : اعتبار التمسك بأحكام الدين: لا جدال في أن الدين بهذا الاعتبار لا يعد خياراً شعبياً ، إذ الغالب على الناس التهاون في أحكام الدين في معظم مجالات الحياة.

ب : اعتبار طرح تطبيق الشريعة: الواقع يخبرنا أن شعار تطبيق الشريعة يطرح كشعار من النظام لردع مطالب الشعوب ليس إلا، إذن لا يكون هناك إلحاح واضح عليه.

ج : اعتبار التفاعل مع القضايا الإسلامية: ولا شك أن الفتور الشعبي العام الذي تواجهه به الأحكام والمناسبات الدينية تمثل دلالة واضحة على الابتعاد التدريجي عن الدين.

(الاستنتاج):

شمولية واستبداد النظام الإيراني، من العوامل المؤثرة في إنهاء الدين وتأكله، فهو برغم الصبغة الدينية إلا أنه يمارس تضاداً عنيفاً مع أي سلوكيات دينية وإنسانية في الحكم والتعامل المتوازن مع الأطياف الاجتماعية.

وعلى أثر ذلك يعتبر الكثير في إيران أن العلمانية هي الحل، بشكل مطلق لأنها تضع حداً للممارسة السياسية للحو زات الشيعية المتطرفة، وتعوق ثمرة الاتجار السياسي باسم الدين، حيث أصبحت العلمانية، فكرة تغري بالاقتناع بها لدى الكثير ، وهناك كثير من النخب التي ستموت من أجل الوصول إلى ذلك ، لأنها السبيل الوحيد لفك سيطرة الولي الفقيه وسطوة المرشد على حياة كل إنسان في هذه الجغرافية يريد أن يعيش عبودية الله وليس للملالي.

شؤون خلية

المصادر: